كتاب مجموع الأعياد والطريقة الخصيبية

كتاب (مجموع الأعياد) ، ويعرف بكتاب (سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح الى فالق الأصباح) ، تأليف أحد كبار دعاة الطريقة الخصيبية أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني نشر حديثاً ، ويعد من أهم كتب أصحاب هذه الطريقة ، فإليه يرجعون في شعائرهم الدينية وصلواتهم وأدعيهم وأعيادهم الموسمية ، وبه يقسمون ويأخذون عهد التكتم والميثاق حينما يريدون أن يعلموا أحداً أسرار نحلتهم وطريقتهم

والطبراني هذا — وأسمه سرور ، ولقبه ميمون ، وكنيته أبو سعيد ، وولادته في طبرية سنة ٣٥٨ هـ — نشأ في بلدته ، وتعلم القراءة والكتابة ، ثم ذهب الى حلب مركز الدعوة الخصيبية ، فتتلمذ على أحد كبار رجال الدعوة : محمد بن علي الجلي الحلبي . ولد في جلة من توابع اللاذقية ، وسكن حلب للدراسة ، ونشر الطريقة .

ودرس هذا الطبراني ، وتعلم ، وتقدم في الطريقة حتى خلف أستاذه في الرئاسة الدينية ، وألف الكتب المتنوعة في ذلك ، منها : كتاب الحاوي في واجبات التلاميذ ، وكتاب الدلائل بمعرفة المسائل ، وكتاب ضد المذهب القرمطي ردّ فيه على عليّ بن قرمط وعلى أبن كشكة ، وكتاب مجموع الأعياد الذي خصصنا به بحثنا ، وله كتب أخرى . ومن جراء المخاصمات التي وقعت بين أصحاب الطبراني هذا وبين الفرقة الإسحاقية في حلب ومعاداته لأبي ذهيبة اسماعيل أبن خلاد البعلبكي رئيس الفرقة الإسحاقية في عصره ، أضطر الطبراني الى مغادرة حلب والإقامة في اللاذقية ، وبذلك تحول مركز الطريقة الى اللاذقية ، ولا يزال هناك حتى يومنا هذا . وقد شاهد أبو سعيد مصائب ومحناً في حياته من جراء هذه المخاصمة ، التي أنتهت بمحاربة أصحابه للإسحاقية والتغلب عليهم ومعاملتهم معاملة قاسية ، فقتلوهم ، وشردوهم ، وأحرقوا بيوتهم

وآثارهم ، وقتلوا رئيسهم أبا ذهيبة إسماعيل بن خلاد البعلبكي ، وبقتله لم يبق للإسحاقية إلا بقايا كتبٍ وأفرادٍ اُندمجوا بأصحاب أبي سعيد وفي القرن الثامن الهجري حينما حل الأمير حسن المكزون السنجاري زعيم الطريقة الخصيبية في حلب ، جمع كتب الإسحاقية ، وحرقها ، وقضى على بقية هذه النحلة وعقيدة أصحابها في تلك المنطقة وتوفي أبو سعيد ميمون بن قاسم الطبراني سنة ٤٢٦ هـ ، وقبره في اللاذقية لا يزال قائماً داخل المسجد المعروف بمسجد الشعراني .

وقد أشارت كتب الفرق الى الإسحاقية أصحاب اسحاق النخعي الاحمر ، وكان من أصحاب الحسن العسكري ومن اُدعى النيابة عنه بعد وفاته . ثم تسلسلت هذه النيابة فتولاها بعده همام الأعسر ، ثم اللقيني ، ثم الحقيني ، ثم أبو ذهيبة اسماعيل بن خلاد وقد فصل القول في هذه الفرقة والخلاف بينها وبين الطريقة الخصيبية الشهرستاني في (كتاب الملل والنحل) ، كما أشار اليهم فخر الدين الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) واُبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) والخطيب البغدادي في (تأريخ بغداد) ، قال الخطيب في الجزء السادس من تأريخه : « اسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان ، أبو يعقوب النخعي ، حدّث عن عبد الله بن أبي بكر العتكي وو .... وأبي عثمان المازني ... والغالب على رواياته الأخبار والحكايات ، وروى عنه محمد بن خلف وكيع وو ... سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي يقول : إسحاق اُبن محمد بن أبان النخعي الأحمر كان خبيث المذهب ، رديء الأعتقاد ، يقول إن علياً هو الله جل جلاله . وكان أبرصَ ، فكان يطلي البرص بما يغير لونه ، فيسمى الأحمر لذلك قال : وبالمدائن جماعة من الغلاة ، يعرفون بالإسحاقية ، ينسبون اليه سألت بعض الشيعة ممن يعرف مذاهبهم ويخبر أحوال شيوخهم عن اسحاق ، فقال لي مثل ما قال عبد الواحد بن علي سواء » . قال : « ولإسحاق مصنفات في المقالة المنسوبة اليه التي يعتقدها الإسحاقية ، ثم وقع لي كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة ، وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية ، فذكر أصناف مقالات الغلاة ، الى أن قال : وقد كان ممن جود الجنون في الغلو في عصرنا اسحاق بن محمد المعروف بالأحمر ... » الخ ما ذكره الخطيب

والنوبختي عن هذه النحلة ونقل الذهبي في (ميزان الاعتدال) أقوال الخطيب ، وزاد عليها ما ذكره ابن الجوزي وغيره وفصّل القول في إسحاق هذا ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) في الجزء الأول ، ومما قاله : « ولإسحاق كتاب سماه (الصراط في الزندقة والقرمطة) ، ونقضه عليه الفياض بن علي بن محمد بن الفياض بكتاب سماه (القسطاس) ، وأشار ابن حزم الى هذا النقض في كتابه الفصل »

أما سلسلة رجال الدعوة الخصيبية ، فهي كما يلي : (١) أبو شعيب محمد النميري البكري البصري : وهو الباب الأول ، وأساس النحلة الجنبلانية ، وواضع هذه الفكرة الغالية كان من أصحاب الحسن العسكري ثم بقيت الوكالة والبابية له بعد وفاته نيابة عن الإمام المهدي كما أدعى . وقد سكن سامراء مدة طويلة في عهد الحسن العسكري وفي عهد الغيبة . وقد ذكره الشيخ الطوسي في الغيبة والنوبختي في الفرق (٢) محمد بن جندب : وقد قام مقامه كما يدعي أصحاب هذه الطريقة ، ولم تعرف له ترجمة في كتب الفرق الشائعة المطبوعة . (٣) عبد الله بن الجنان الجنبلاني : من بلد جنبلا من عراق العجم ، وهو المؤسس الثاني بعد أبي شعيب ، وواضع الآراء الباطنية للعبادات الظاهرية . وكان من كبار رؤساء هذه النحلة ، عالماً متبحراً في العلوم الإسلامية والفلسفية قصده جماعة من أصحاب هذه النحلة الى جنبلا ، وتعلموا على يده أسس الطريقة ، وتنقل هو في العراق وسورية ومصر ، وفي مصر تعرف عليه المؤسس الثالث لهذه الدعوة الحسين بن حمدان الخصيبي ولما رجع الى جنبلا ، لم يفارقه الخصيبي ، بل سافر معه الى جنبلا ، وبقي يدرس على يده ، ويأخذ التعاليم الغالية وأصول الطريقة ، كما درس عليه الفلك والنجوم وغيرها ، وبقي معه حتى توفي الجنبلاوي سنة ٢٨٧ هـ عن ثلاث وأربعين سنة ، فرجع الخصيبي يحمل فكرتين : فكرة التأويل الباطني ، وفكرة البغض للعرب . وتولى بعده الزعامة الدينية ، وحل في بغداد مدة ، أخذ عنه جماعة يزيدون على الاثنين والخمسين تلميذاً ، وكوّن مركزاً للطريقة الخصيبية في كرخ بغداد ، وعيّن لها تلميذاً قوياً من تلاميذه ، هو السيد عليّ الجسري ناظر الجسور في بغداد . وكان هذا معروفاً في ظاهره بالعبادة والتقوى ، وقد حج

مرة ، ولـكنه كان في السر من دعاة هذه الطريقة المفرطة في الغلو والإباحة للظواهر . وقد روى في بغداد عن الخصيبي جماعة ، وأتصل به جماعة وقد زاره المتنبيء الشاعر في بيته ، وروى عنه أحاديث كثيرة مذكورة في (كتاب مجموع الأعياد) الذي سنحدثك عنه في مقالنا هذا ثم سافر الخصيبي الى حلب ، وأقام هناك الدعوة ، وألف الـكتب في ظل الحمدانيين ، وأهدى كتابه (الهداية الـكبرى) ، الموجودة منه نسخ خطية وهو في تراجم الرسـول وفاطمة والأئمة ، الى سيف الدولة ، وفيه من الغلو والتمهيد للطريقـــة الخصيبية ما يدهش ، ولا ندري كيف يبلغ السخف ببعض الناس فيحولهم من عبادة الخالق الى عبادة المخلوق ؟ كما أهدى كتابه (راسباش) الى عضد الدولة البويهي أيام سكناه في بغداد وقد روى الطبراني عنه كثيراً في كتابه (مجموع الأعياد) ، وهو كتاب في الطريقة الباطنية ، ومعناه (كن مستقيماً) ، وقد كتبه بالفارسية

ولد الخصيبي في مصر سنة ٢٦٠ هـ ، أي في السنة التي توفي فيها الإمام الحسن العسكري ، وتوفي في حلب سنة ٣٤٦ هـ ، وقبره لا يزال في شمال مدينة حلب وخلفه في الزعامة الدينيـة تلميذه السيد محمد بن عليّ الجليّ الحلبيّ سكن حلب أيام الخصيبي ، وتعلم على يده ، وقام مقامه ، وأسس مركز الدعوة في حلب ، ثم تحـوّل هـذا المركـز الى اللاذقية في زمن الطبراني كما ذكرنا . أما مركز الدعوة في بغداد ، فبقي حتى مجيء هولاكو ، فأغلق . وبعـده تولى الزعامة الطبراني ثم تركت الزعامة المطلقة ، وحولت بعد الطبراني الى مشـايخ الدين وينقسمون في الرتبة الى ثلاث : الإمام وهو أعلاهم ، والنقيب ، ثم النجيب . وهؤلاء هم المرجع الديني في كل الحفلات الدينية ، وهم المرجع الأكبر في أوضاعهم وأحوالهم الأخرى وقد كانت الحـكومـة العثمانية تصدر الفرمانات بأسماء هؤلاء المشايخ ولما جاءت الحـكومة الفرنسية ، وأخذ أصحاب هذه الطريقة بعض الحرية ، قدموا عرائض وطلبات ، لتعين لهم الحـكومـــة قضاة يحكمونهم بحسب الفقه الجعفري ، وتقدموا الى السيد محسن العاملي العالم والمؤرخ المعروف بالشفاعـة في ذلك ، فلبى طلبهم ، وذلك في سنة ١٩٢٢ م .

وإننا إذْ نكتب في (كتاب مجموع الأعياد) ، ونشرح بعض أسس هذه الطريقة الخصيبية ،

لا يعني أن هذه الطريقة وتلك الافكار والتقاليد لا يزال يعمل بها ، وإنما نسجل ذلك للتاريخ ، ولمعرفة التيارات الفكرية التي كانت تتخلل جسم الأمة الإسلامية من جراء الأحقاد والمخاصمات ، وتغلب القوي على الضعيف ، وعمل الضعيف ضد القوي .

وقبل أن نلخص لك بعض ما في كتاب مجموع الأعياد ، لا بد لنا من ذكر بعض التعاليم القديمة لهذه الطريقة : (١) لا حشر إلا للأرواح ، وحشرها حلولها في السماء بين الكواكب المنيرة ، وقد جاء في وصية أحد المشايخ لتلميذه كما في باكورة سليمان : « يا ولدي ، إن السماء هي الجنة الباطنة ، ومتى خلصنا من هذه الكثائف البشرية ، ترتفع أرواحنا الى ما بين الكواكب المتلاصقة التي هي درب التبان ، وتلبس هياكل نورانية ، وان شككنا في هذه الحياة تحل أرواحنا في الأجسام المسوخة ، ولا تكون لنا نجاة أبد الآبدين . وأما بقية الطوائف الخارجة عن عقيدتنا ، فتتحول الى حيوانات ممسوخة ، وليس لهم خلاص أبداً !! »

(٢) ينقسمون الى ثلاثة أقسام : الكلازية ، والحيدرية ، والناصفة . ومرجع أنقسامهم الى الأختلاف في تفسير نصوص الأدعية أو السور الست عشرة التي تعدّ مرجع النحلة الجنبلانية ، وقد ذكرها كلها في (الباكورة) وشرحها ، وأشار الى مواقع الخلاف في التفسير . (٣) الحقيقة الإلاهية مجهولة الهوية ، ومظهرها وموضع إبداعها ووجودها في الإمام علي بن أبي طالب ، فهو أكمل ذات في الوجود الخاص . وهذه الحقيقة الإبداعية العلوية ، تجلت في الإمام علي ، وتجلت في أبنائه الأثني عشر ، كما تجلت في جميع الأنبياء والقديسين ، وفي بعض الحيوانات المقدسة ، كبقرة بني اسرائيل لأنها إنذار من الحقيقة المطلقة ، وكلب أهل الكهف لأنه مرشدهم الى الحقيقة ، وناقة صالح لأنها حجة من الله على أصحاب صالح ، وفي السماء والقمر والشمس والهواء لأنها مظهر الحقيقة المبدعة (٤) أغلب شعائرهم وتعابيرهم في كتبهم ، رمزية ، فالميم محمد ، والعين عليّ ، والسين سلمان ، وسهف عليّ ، والكيم سلمان ، ودلام عمر ، وسلسل سلمان ، وفاطر فاطمة ، والحاءات الثلاث الحسن والحسين ومحسن ، وحبتر عمر ، وذو زمد أبو بكر . الخ .

(٥) لا يعملون بالظواهر الشرعية ، ولكل طقس تفسير باطني ، فالحج حب أهل البيت : محمد

وعلي والحسن والحسين ومحسن ، وسر صاحب البيت عليّ ، والبيت كله محمد ... ومعنى الطبقات السبع لجهم التحول بعد الموت من فسخ ومسخ ونسخ ... في عالم الحيوان ... الخ

(٦) لكل إمام ، باب ، على النسق التالي :

عليّ ... سلمان الحسن : قيس بن ورقة .

الحسين ... رشيد الهجري علي بن الحسين : عبد الله الكابلي

الباقر ... يحيي بن معمر الثمالي

الصادق : جابر بن يزيد الجعفي الكاظم : محمد بن أبي زينب .

الرضا : المفضل بن عمر الجواد : محمد بن المفضل بن عمر

الهادي : عمر بن الفرات الكاتب العسكري : أبو شعيب النميري

أما الإمام المهدي ، فلم يكن له باب ، بل بقيت البابية لأبي شعيب

(٧) لا يجوز أن يتعلم النساء القراءة والكتابة لأنها خلقت من ذنوب الأبالسة ، ولا يجوز شرب الدخان لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لعن هذه النبتة ، ولا يجوز أكل البانية ، وفي كل شمائرهم يستعملون الشراب ويرمزون اليه بعبد النور ، كما هي العادة عند البكتاشية وغيرهم من الفرق الغالية المتصوفة . (٨) من كتبهم كتاب الهفت ، أي الأيام السبعة ، وينسبونه الى الإمام جعفر الصادق ، ويتضمن الوصايا العشر التي يجب على كل خصيبي أن يعمل بها ، وإن أختلفوا في تفسير بعض عباراتها . فالوصية العاشرة مثلاً ، هي وجوب الفرض اللازم ، ولكنهم أختلفوا في هذا الفرض ، ففسره الكلازيون ببذل المال للإمام ، وفسره غيرهم بغير ذلك ، وفسره الطبراني في (كتاب الدلائل) بغير ذلك ، وفسره صاحب (الرسالة الدامغة) في الرد على الطريقة الخصيبية تفسيراً تستقبحه الأذواق وهذه الرسالة التي هي لأحد علماء الدروز (وقد أشرت اليها في أثناء كلامي على مجاميع خطية اسماعيلية في كتب الأب أنستاس الكرملي ، في هذه المجلة) تعد من أقدم الرسائل في الرد على هذه النحلة . (٩) سلسلة العهد للداخل في الطريقة يحلف

بكتاب مجموع الأعياد ، ويتعهد بكتم السر ، وأنه على النحو التالي : الشعيبي مذهباً ، الجنبي رأياً ، الجنبلاني حقيقة ، الخصيبي طريقة ، الفقهي طبرانية (١٠) جميع أعياد الدين الإسلامي وأعياد الفرس وأعياد المسيحيين ، أعيادهم ، وعلى كل رجل ثري أن يقيم عيداً أو عيدين أو ثلاثة في أثناء السنة ، فتقام الأفراح في بيته ، وتجتمع جماعات ، يأكلون ويشربون ، ويرتلون الأدعية والأوراد ، والدعاء على كل ظالم ، ومنهم الحكومة العثمانية ! •

وفي أفراحهم هذه يرتلون أشعار كبار نحلتهم ، كشعر الخصيبي ، وشعر الشيخ منتجب الدين العاني ، ويعد شعره من أسمى شعر التصوف والعرفان وقد رأيت بعض منتخبات من ديوان شعره في خزانة كتب الأستاذ المحامي صادق كمونة ، فظهر لي أنه أسمى من شعر ابن الفارض . ولو طبع هذا الديوان لهذا الشاعر العراقي ، لأمات كثيراً من شعر المتصوفة أما ديوان الخصيبي الركيك الشعر ، فيعد لديهم من مراجع التعاليم الدينية . ويغلب على ناحيتهم الأدبية ، شعراً ونثراً ، ضعف وركة في أسلوب عامي في كثير من الأحيان ، ما عدا السور الست عشرة ، فهي قوية جزلة ، ولم تنسب في كتبهم الى أحد ، ويظن أنها من صنع الجنبلاني ، أو من بعده والبك نموذجاً صغيراً من السورة الحادية عشرة ، وأسمها سورة الشهادة ، لتعرف أسلوبها الأدبي : « شهد الله أنه لا إله إلا هو إن الدين عند الله الإسلام . ربنا ، آمنّا ، فاكتبنا مع الشاهدين .. بشهادة ع م س إشهد عليّ أيها الحجاب العظيم ، إشهد عليّ أيها الباب الكريم ، اشهدوا عليّ يا أهل المرقب لا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي . . وإني أقر بالرجعة البيضاء والكرة الزهراء .. »

أما (كتاب الهداية الكبرى) ، وقد شاهدت منه نسخة كانت في كتب الشيخ محمد السماوي واليوم هي في مكتبة الأستاذ المحامي صادق كمونة ، فهو من كتب الحديث والرواية ، بأسلوب بليغ للغاية . وعلى نمطه تقريباً (كتاب مجموع الأعياد) وقد عثر المستشرق الألماني (شتروطمان) صاحب مجلة (دبر اسلام) على نسخة من مجموع الأعياد ، فنشرها كاملة في المجلد السابع والعشرين من هذه المجلة في ثلاثة أجزاء متوالية . وقد أعتمدت على هذه النسخة المطبوعة

والموجودة في خزانة دار الآثار العراقية ، وأولها : « الحمد لله العلي الأحد ، الفرد الصمد ... الظاهر في خلقه ليوحد الباطن الذي لايفقد .. وصلاته الزكية وتحياته المرضية على نوره المخترع ، وحجابه المبتدع .. القائم بكل نبوة ورسالة ، وصاحب كل دعوة ودلالة ، وبه يهتدى الى توحيد الأزل ، ومنه يستدل على وجود معال العلل ... الماء المعين ، ونجاة القاصدين ، ومنهل الواردين ، ومهلك الطاغين ... وعلى أيتامه السابقين في يوم الظلة ، ومن تمت بهم المعرفة والملة .. الأنوار في غياهب الظلمات .. والنجوم المضيئة في الدجنة السوداء .. وعلى أهل المراتب العالية والأنوار المتلألئة ... قال الشاب الثقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني : حدثني أبو الحسين الجهميدي بمدينة طرابلس الشام سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، قال : حدثني أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ... قال : حدثنا محمد بن سنان ... قال : دخلت على مولاي العالم (الحسن العسكري) وعنده جماعة ، فسلمت ، فرد السلام ، وقال لي : ما حاجتك ؟ فقلت : ياسيدي قد أشكل علي معرفة الأعياد العربية والعجمية ، فمُنَّ عليَّ بمعرفة ذلك .. فسكت هنيهة ، ثم قال : يا محمد .. الأعياد العربية عشرة .. الغدير ، ويوم الجمعة ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، ويوم الأحد ، الذي أمر أمير المؤمنين فيه سلمان أن يدخل المسجد ويخطب بالناس ، واليوم الذي خاطب الباقر منه السلام جابر بن يزيد الجعفي ووضع يده على صدره ، واليوم الذي أمر محمد بن عليّ الرضا لعمر بن الفرات بالدعاء وقال : إئتوني من باب عمر بن الفرات ، واليوم الذي نصب السيد جعفر منه السلام محمد الزيني وأقامه للناس علماً .. الخ أما الأعياد العجمية ، فيوم النوروز ، ويوم المهرجان ، والتاسع من شهر ربيع الأول ، ويوم الفراش ... الخ .

وبعد أن عدد هذه الأعياد التي شملت الأعياد الاسلامية والفارسية والمسيحية وأعياد القديسين ، شرع في شرح ما ترمز اليه هذه الأعياد من تأويلات باطنية ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يقتصر في تأويله الباطني على الأعياد ، بل عم بحثه العبادات الظاهرية وما يعنى بها في الباطن والتأويل على أسس التأويل الإسماعيلي ، فالصيام الدعاء ، ثم يذكر ذلك الدعاء الذي يتلى بدل الصوم . وكما أن محمداً أول الأعداد ، وجب أن يكون عيد الفطر أول الأعياد .

والمؤلف في كل ما روى من تأويل باطني للأعيـــاد والعبادات ، ينقله نصاً عن كتاب (راسـباش) للخصيبي الذي قدمه هدية الى عضد الدولة البويهي أيامَ وجوده في بغـداد كما ذكرنا ذلك .

ثم يتكلم على عيد الأضحى ، ومما قاله هناك : « أستعملت العامة وظاهرية الشيعة فيـه الضحايا والذبائح ، والتقرب إلى الله بإهراق الدم . وعند أهل الباطن أن شخص عيد الأضحى هو القائم منه السلام ، وظهوره بالسيف واهراق دم كل ضدّ !! » .

والحديث عن معنى الأضحية وأنها رمز لاحقيقة ، يطيله المؤلف حتى يقع في أثنتين وعشرين صفحة من مجلة (دير اسلام) الصغيرة الحروف ، وفي ضمنه أدعية رمزية وخطبة العيد المملوءة غلواً وأبتهالات الى مملل الملل ومظهر القدرة الأزلية .

ويتلو هذا العيد ذكر عيـد الغدير ومنزلته ، ويعقب ذلك بقصيدة طويلة في أثنين وسبعين بيتاً للحسين بن حمدان الخصيبي في تفسير مقاصد هذا العيد وأهدافه ، وبخطبة العيد ودعائه ، وبالتعاليم التي يجب أن يقوم بها المؤمن العارف ، ومنها : فيجب ياسـيدي أن تتحقق فضل هذا اليوم ، وتغتسل بكرة ، وتلبس أفخر ثيابك ، وبهرق ما أمكن من الدماء ، وبجمع من حضر من المؤمنين ، وقدم الطعام والشراب والبخور فاذا قدمم الطعام وغسلتم الأيدي ، فليرق من ماء الأيدي في زوايا البيت فاذا حضر عبد النور والمجمرة والبخور ، فلتكن الجماعة كلهم قياماً ، ويشربوا الفرض الواجب .. ثم يملأ قدح كبير ، ويمدون أيديهم الى الله ، ويقبل بعضهم بعضاً ويقرؤون ... والدعاء طويل جداً ، وكله رموز إلى التأويلات الباطنية للظواهر الشـرعية وإلى هدف هذا العيـد ، ويتخلل ذلك شعر للخصيبي ، وخطبة للإمام عليّ ، وأحاديث عن الرضا في فضل هذا اليوم ، وشرح للمصطلحات الخصيبية في النحلة الجنبلانية .

ويتلو ذلك ذكر عيد المباهلة وقد بحث الموضوع بحثاً دقيقاً فلسفياً في التأويل وتفسير التجلي الإلّهي ، وأن المباهلين من أهل العباء والقبة المحمدية ، وهم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وسلمان ، قد ظهروا للمباهلين بمظهر النور الإلّهي ، وكانت الأنوار المثالية السماويـة

النورانية تنطق عهم ، حتى قال قائل المباهلين : « يا محمد ، إنما وقع القول على أنك تباهلنا بأهل الأرض ، فنباهلك بأهل الارض وأما أهل السماء ، فلهم أهل السماء ... » .

ويتلو ذلك عيد الفراش ، وقد أطال فيه القول فيما أوحت اليه مخيلته وقوة واهمته وتصوراته النفسية ، ومنها قوله : « فحزن الرسول لعلي وخديجة ، فقال له جبرئيل ، وكان معه في الغار : لا تحزن ، إن الله معنا ! ثم كشف له ، فرأى علياً وخديجة ، ورأى سفينة جعفر بن أبي طالب ومن معه في البحر ، فأنزل الله هذه الآية : (ثاني أثنين إذهما في الغار) يريد جبرئيل ، (إذ يقول لصاحبه) محمد (لا تحزن ، إن الله معنا) » وقد ورد هذا الذي ذكره هنا الطبراني ، في كتاب الهداية أيضاً ، كما أعتمد على الهداية في كثير مما يذكره هنا من الاحاديث والتأويلات .

ويتلو ذلك قصيدة من البسيط لشاعر هذه النحلة (الصائغ) في مدح هذا العيد ومقاصده ، وبدعاء الفراش ، بأسلوب رمزي عن معنى التجلي الالهي والحلول الباطني في المظهر العلوي

ويتلو ذلك ذكر عيد عاشور وخبره كما يسميه ، ولم يكتم آراءه هنا في التأليه العلوي ، بل يصول ويجول ، ويسخر ممن قال بقتل الحسين ، ومما جاء قوله : « وهو اليوم الذي روت فيه العامة وظاهر الشيعة ، وزعمت أن فيه مقتل مولانا الحسين ، تعالى الله عما يقول الظالمون المفترون ويظنه الملحدون ! وما كان مولانا الحسين الا كعيسى ، حيث تجلى لهم جسمه تخيلاً ، فظنت النصارى أنه صلب ، وما صلب ، وكذلك الحسين لانه هو المسيح ، والمسيحُ هو الحسين » .

ثم أستشهد بشعر كثير للخصيبي وغيره في هذا المعنى الذي أشار اليه ، ومنه قوله :

سلام على من حجب الله شخصه وأظهر للأعداء شبهاً كصورته

وبعد أن ذكر ثلاث قصائد للخصيبي في هذا الباب ، روى عن أبي الطيب المتنبي عن الخصيبي رواية في آداب الزيارة للحسين ومقاصدها وتفسيرها ، وحديثه عن هذا العيد طويل ، وكله تفسير للتجليات الالهية وفكرة الحلول .

ويتلو ذلك الحديث عن اليوم التاسع من شهر ربيع الاول ، وفكرة هذا العيد وأحاديثه التي أنتشرت في العصر الصفوي بين بقية الشيعة ، كلها من أصحاب هذه النحلة ، وكل الأحاديث

المروية في كتب المجلسي ومن بعـــده ، مأخوذة عن الهداية للخصيبي عن الحسن العسكري والهادي وقد وقع المجلسي في توهم فاضح ، حيث ظن أن الخصيبي من رجال الحديث المستقيمين ، ولم يعرفه من الغلاة الناقين ، على الرغم من أن جميع كتبنا في الحديث لم تذكر ذلك ، ولم تعرف عن هذا العيد شيئاً . وكم وقع المجلسي في أوهام مثل هذا ، بنقله عن كتب الغلاة ، وهو لايدري ذلك . ثم جاء الخطباء فعدوها حقائق ، ونقلوها للناس من دون معرفة مصدر ذلك

ويتلو ذلك ذكر عيد ليلة النصف من شعبان ، وما يجب العمل فيها ، وهي آخر ليلة من السنة الخصيبية . وهذه الليلة معظمة عند هذه النحلة تعظيماً شديداً ، ويلزم أن يُزار فيهـا قبر الحسين ، كما يلزم أن تذكر فاطر (فاطمة) ذكراً جميلاً في الأوراد والأدعية . وقد روى المؤلف في هذا الباب الزيارات الرمزية المتنوعة والأدعية التقديسية لفاطر ، ولم نعرف سر العلاقة بين هذه الليلة وفاطمة الزهراء لدى هؤلاء الغلاة وكل مانعرف أن في يوم الثالث من شعبان ولادة الحسين ، كما أن في ليلة النصف من شعبان ولادة المهدي محمد بن الحسن العسكري وقد ذكر الكثير من الأحاديث عن فاطمة قال أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني مؤلف الكتاب : « سألت الشيخ أبا الحسين محمد بن عليّ الجلي : لم سميت فاطمة من أشخاص الميم (أي من القبة المحمدية) ؟ فكان الجواب : أن الجاحدين فُطموا عن معرفتها ، وهي ليلة القدر في النصف من شعبان ، لأن القـدر الميم ، وهي ليلته وجوهره ، وهي التي فطرت الحاءات الثـلاث كما تفطر السماء الـكواكب المضيئة ، وهي قائمة في مقامات الأئمة حتى يظهر الـكشف بظهور القائم علينا من ذكره السلام » .

ويعقب هذه الأعياد العربية كما يسميها ذكر الأعياد العجمية ، ويبدؤها بعيد الميلاد ومافيه من الفضل ، لأن المسيح الذي هو مظهر من مظاهر القبة المحمدية ، ولد فيها ، وتجلى الملأ ؛ ولأن مريم صورة أخرى عن آمنة بنت وهب ، وهي مولدة الحاءات الثلاث ومظهر الحقيقة العلوية .
ويتلو ذلك ذكر يوم النوروز ، قال المؤلف : « ومما أستخرج من (كتاب الأكوار والأدوار النورانية) قول السيد أبي شعيب لمحمد بن جندب : يا محمد بن جندب ، هل علمت أني دخلت على مولاي (العسكري) ؟ » الخ الرواية الطويلة جداً ، وكلها تقديس لهذا العيد وأنه يجب أن تقام فيـــه شعائر الفرح باجتماع الأولياء ، والتزاور ، وممازجة عبد النور ، وحب الماء ، والتخلق

بالخلوق ، والتواصل .. الخ والحديث عن هـذا العيد في هذا المؤلف طويل حتى فاق الأعياد في مراسيمه ومنزلته وهـذه النقطة الثانية التي توهم فيها المجلسي صحـة هذه الأخبار المنقولة عن الهداية للخصيبي ، فظنها صحيحة ، وتبعه من بعده بعض الخطباء والمحدثين فأشادوا بذكر هذا العيد من الوجهة الدينية وقد ذكر المؤلف أدعية وأوراداً كثيرة تتلى في هذا اليوم ، ومنها قوله : « فبحق نورك وأسمك وعرشك وحجابك وبابك الذي شرعته لأهل معرفتك ، هب لنا ولإخواننا المؤمنين في هذا اليوم الذي شرفته وعظمته وجملته يوم نوروز .. يا مولانا ، يا أمير النحل ، يا عليّ ، يا عظيم ، أنت نور الأنوار ، وغاية الحجب » ويعقب ذلك روايات متنوعة في فضل هذا اليوم مروية موجودة في الهداية ، ورواها المؤلف كما هي مروية عن الحسن العسكري وعن الصادق وموسى بن جعفر وغيرهم من الأئمة ولم يقتصر على ذلك ، فيحدثنا حديثاً تأريخياً عن الفرس وطبقات دولهم الأربع ، وكيف غيروا في آخر دولتهم الرابعة أيام كسرى أبرويز ، فزالت عنهم الأنوار التي كانت في بلاد فارس ، وأشرقت بأرض العرب وقد أوجب النور الأعلى التشديد على الفرس ، فظهرت الأنوار التي كانت في بلاد فارس في بيوتات العرب في لؤي بن غالب »

ويتلو الكلام على نوروز الكلام على عيـد المهرجان ، وبحثه كله على نسق عيد نوروز في القداسة ، والتحرق على ملك الفرس المضاع ، وفي الأدعية الرمزية والشمائر الحلولية ، وتأليهات للحقيقة العلوية ، وبذلك يتم الكتاب بخط الشيخ محمود بن الشيخ حسين نسباً ، والشعبيّ مذهباً ، والجندبي رأياً ، والجنبلاني حقيقة ، والخصيبي طريقة

المصادر :

(١) كتاب الهداية الكبرى للخصيبي (٢) بعض منتخبات من ديوان منتخب الدين العاني (٣) قطعة من كتاب السبع المثاني لأحد كبار هـذه النحلة وهي المصادر الثلاثة المخطوطة عثرنا عليها في خزانة المحامي السيد صادق كمونة (٤) الباكورة السليمانية في الرد على هذه النحلة لسليمان الأطني وقد طبعت في بيروت سنة (١٨٦٣) م (٥) تأريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل طبع في اللاذقية سـنة (١٩٢٤) م (٦) مجموع الأعياد للطبراني طبع ألمانيا (٧) لسان الميزان للعسقلاني المجلد الأول في ترجمة اسحاق الأحمر (٨) تأريخ الخطيب البغـدادي الجزء السادس (٩) الملل والنحل للشهرستاني (١٠) سوسنة سليمان لنوفل الطرابلسي طبع بيروت

عبد الحميد الدجيلي